كلية: الآداب

القسم أو الفرع: اللغة العربية

المرحلة: الدراسات العليا/ الدكتوراه

أستاذ المادة: أ.د.علي محمد عبد

اسم المادة باللغة العربية: قراءة في كتاب أدبي قديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية: A Reading in Book old Literary

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: المفضليات

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية A Reading in 'Al_Mufdhliyat' Book

محتوى المحاضرة الحادية عشر

قراءة في كتاب المفضليات – دكتوراه ادب

كتاب للمفضل الضبي، سماها صاحبها (الاختيارات)، قال محققا المفضليات (احمد محمد شاكر و عبدالسلام هرون) بأنها اقدم مجموعة صنعت في اختيار الشعر العربي، أما الحقيقة تشير الى أنها الاختيار الثاني بعد المعلقات، ظهرت من بعدها كتب آخرى منها: (الآصمعيات لأبي سعيد

الاصمعي) و (جمهرة اشعار العرب لأبي زيد القُرشي) و (مختارات شعراء العرب لأبي السعادات بن الشجري) وغيرها .

للمفضل مؤلفات أخرى غير المفضليات وهي: (الامثال – معاني الشعر – الالفاظ – العروض)

ثمة خلافات كثيرة حول تحديد عملية جمعها وحول اسماء من قد تكون لهم يد في جمعها وحول عددها وما ادخل عليها من نصوص .

تضم المفضليات ١٢٦ نص، ثم زيدت عليها اربع قصائد فاصبحت ١٣٠ نص، واصحاب هذه النصوص ٦٦ شاعرا، وبهذا تخالف المفضليات المعلقات، فليس في المعلقات نصّان لشاعر واحد أما المفضليات فقد كررت الاختيار من شعر الشاعر الواحد فكان لبعض الشعراء نصّان وكان لبعضهم ثلاثة وكان لبعضهم أكثر من ذلك، والمفضليات من الكتب التي دونت ونسبت الى عالم بعينه وسميت باسمه، أما المعلقات فقد ظلت تروى دهرا ثم اختلف الناس حولها وحقائق تتعلق باصولها .

ثمَّ تداخل بين النصوص الواردة بين المفضليات والاصمعيات أمر يصعب تخليصه، ونحن لا نشك في أن الاصمعي اطلع على اختيار المفضل ولكن ما الذي يمنع ان يستحسن اللاحق بعض ما استحسنه السابق فيضمه الى مجموع ما استحسن هو من اشعار؟

ان الاجابة عن سبب تباعد النصوص المختارة للشاعر الواحد في كتاب المفضليات قد لا يكون رهناً بنظر صاحب الاختيار الى صاحب النص وانما كان رهنا بتناسق مواصفات معينة في النصوص نفسها فكان موضوع النص ذا شأن في تقدمه او تاخره في ترتيب الاختيار .

سبب اختيار المفضل لمجموعته الشعرية

لقد وردت عدة رويات في سبب اختيار المفضل لهذه الاشعار، فيقال أن اصل اختيار المفضليات ان تلميذ المفضل (الخليفة المهدي) قرأ عليه بعض المفضليات حيت كان واليا للعهد، ثم قرأت عليه فيما بعد .

وذكرت روايات اخرى أن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن كان متواريا عند المفضل فشكا اليه ضيق صدره فاخرج اليه كتبا من الشعر ينظر فيها فاختار ابراهيم منها سبعين نصا بنى عليها المفضل فيما بعد بقية الكتاب .

وجاء في روايات اخرى ان المفضل اختار ثمانين قصيدة للمهدي ثم قرئت بعد ذلك على الاصمعي فصارت مائة وعشرين .

وهنالك رواية اخرى تقول ان المفضل اختار ١٢٨ نص للمهدي حين الزمه المنصور إياه.

منهج الكتاب

لم يلتزم المفضل الضبي منهجا محددا في كتابه، بل سردها سردا عشوائيا دون أن تخضع لترتيب زمني ولا بحسب موضوعات القصائد ولا حتى بحسب أهمية الشعراء أو أقدمهم ولا بحسب القوافي، والكتاب يخلو من المقدمة، ومجموع شعراء المفضليات ٦٧ شاعرا منهم ٤٧ شاعرا من شعراء الجاهلية و ١٤ من المخضرمين و ٦ من الاسلاميين، وقد كتب المفضل الضبي جميع القصائد التي اختارها ولم يقتطع منها شيئا .

شروح المفضليات

بالنظر الى القيمة الكبيرة التي حظيت بها المفضليات على امتداد العصور في الوسط اللغوي والموروث الثقالفي العربي القديم، فانها لقيت اهتمام الشراح بها، ومن أشهر من قام بشرحها وتفسير معانيها الشارح (أبو بكر الانباري) الذي طبع قديما في المطبعة الكاثوليكية في أكسفورد عام ١٨٠٨م بتحقيق (جاريس لايل) وشرح (التبريزي)ت:٥٠٢هـ الذي باشر شرحها بعدما انتهى من شرح ديوان الحماسة ، ومنه نسخة بخط في دار الكتب الوطنية بتونس، ففرغ منها سنة ٤٨٦هـ وبداخلها زيادات في طياتها بخطّهِ .

المعايير التي سار عليها المفضل الضبي

المفضليات سار فيها المفضل على ما اتفق عليه الرواة في اعتماده على المشهورين من الشعراء، إذ لم تشمل اختيارته كلها إلا على ثلاثة مقاطع لشعراء مجهولين لم تنسب لاحد واسندها لإمرأة من بني حنيفة ورجل من عبد قيس ورجل من اليهود، ولم يمنع هذا التوجه نحو المشهورين الى الاختيار للمقلين، إذ قام المفضل بلفت الانتباه إليهم من خلال اختياره لشعراء مقلين لهم حظاً من الشهرة، فاختار لأسماء أكثرها معروفة لدى خاصة الدارسين دون عامتهم لكن لشعرهم وزنا وعمقا وفحولة في اطار من مقدرة القول وملكة الشعر، ومن هؤلاء : (أفنون التغلبي وبشامة بن الغدير وبشر بن عمر وتأبط شرا والشنفري والحصين بن حماد المري وأبي ذؤيب الهذلي والحارث بن حلزة وذي الاصبع العدواني ومتمم بن نويرة وعلقمة الفحل وعامر بن الطفيل والمثقب العبدي والمخبل السعدي والمرقش الاكبر والمرقش الاصغر والمسيب بن علس) وعلى الرغم من ان هذا التوجه نحو المقلين كان للمنصور رأي فيه إذ يقول: (لو عمدت إلى أشعار المقلين واخترت لِفَتاكَ لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صوابا) إلا أن أحد الباحثين يعد المفضل رائدا في الاتجاه والمنحى النقدي ومن الجدير بالذكر أن المفضل كان مدركا إدراكا تاما لحدود عمله في اختيار المفضليات لهذا الصنف من الشعراء الذين أنصفهم لما قرره في نقده الموضوعي لهم وأنزلهم في مكان لا يقل عن أقرانهم من الشعراء المشهورين ويعد توجه المفضل نحو (الأقل الأجود الانقى متوافقا مع غايته التعليمية في اختياره المضامين التي يطل منها على القيم والمثل والعادات القديمة التي صورها الشعراء، فوجد في شعر المقلين ما يحقق له غايته على الرغم من كثرة الغريب فيه .

فالشهرة معيار اعتمده المفضل الضبي في اختياراته وتوافق مع القلة، فهو اختيار لشعراء معروفين لكن غلبة عليهم قلة كتابة الشعر، لكنهم في الوقت نفسه ليسوا مغمورين، بالاضافة الى المجهولين ولكن بنسبة قليلة كـ (الخصفي المحاربي و السفاح بن بكير).

المُفَضّلِيّات كتاب للمفضل الضبيّ، وهو مجموعة شعرية، تضم ١٣٠ قصيدة، وهي أقدم مجموعة في اختيار الشعر العربي. ظهرت من بعدها كتب أخرى، منها الأصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن

قُرَيْب الأصمعي، و جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القُرَشِيّ، ومختارات شعراء العرب لأبي السعادات بن الشجريّ، وغيرها

سبب اختيار المفضل مجموعته الشعرية أنه عندما كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي مختفيا عند المفضل لأنه خرج على الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كان المفضل يتركه ويخرج وفي إحدى المرات أراد المفضل الخروج من بيته لبضعة أيام فقال الخليفة: إنك عندما تخرج يضيق صدري فأخرج لي شيئا من كتبك أتفرج به، فأخرج له المفضل كتباً من الشعر والأخبار.. فلما عاد المفضل وجده قد علّم على سبعين قصيدة اختارها، وكان له ذوق حسن في الشعر، فاستخرج المفضلُ القصائدَ السبعين وزاد عليها عشرةً فأصبحت ثمانين قصيدة وعندما قبض المنصورُ على إبراهيمَ ومعه المفضل، عفا الخليفة عن المفضل وجعله يؤدب ولده وولي عهده المهدي فقدم المفضلُ لتلميذه القصائدَ الثمانين فقرأها عليه، ثم قرأها الأصمعي فأقرها وزاد في قصائدها وزاد في بعض القصائد التي وضعها المفضل بعض الأبيات، ثم جاء مَنْ بعدَ الأصمعي وزادوا في بعض القصائد أبياتا أخرى حتى لم يعد ميسورا معرفة الأبيات الأصلية أو المزيدة

.

يضم الكتاب ١٣٠ قصيدة معظم شعرائها جاهليون وقليل منهم مخضرمين وإسلاميين، يتراوح عدد أبيات القصائد الواردة في الكتاب ما بين عشرة (١٠) أبيات ومائةٍ وثمانيةِ (١٠٨) أبيات (لأطول قصيدة)، ولم يورد المفضل لكل شاعر أكثر من ٣ قصائد إلا نادراً، وهذا معناه أن المفضل كان يختار أفضل القصائد بغضّ النظر عن الموضوع .

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار المعارف المصرية عام ١٩٤٢ بتحقيق كل من أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، وأول من قام بشرح المفضليات هو أبو محمد القاسم بن بشار الأنباري، وقد حقق الشرح ونشره المستشرق شارل ليال، وقد أصدرته مطبعة الآباء اليسوعيين في

بيروت على نفقة جامعة أكسفورد سنة ١٩٢٠م.

.

يُعتبرُ «المفضليات» أولَ كتابٍ يضمُّ مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلاميّ بروايات موثوق بها، كما يضم قصائد كاملة كانت أروع ما في الشعر العربي من قصائد. وقد تمت طباعة ست طبعات من كتاب المفضليات.

قال شوقي ضيف عن المفضليات: ولو لم يصلنا من الشعر الجاهلي سوى هذه المجموعة الموثقة لأمكن وصف تقاليده وصفا دقيقا؛ فقد مثلت جوانب الحياة الجاهلية ودارت مع الأيام والأحداث. وعلاقات القبائل بعضها ببعض وبملوك الحيرة والغساسنة، وانطبعت في كثير منها البيئة الجغرافية. وقد جاء فيها كثير من الكلمات المندثرة التي لم ترد في المعاجم اللغوية على كثرة الألفاظ المهجورة، مما يرفع الثقة بها ويؤكدها. قال علي الجندي في كتابه في تاريخ الأدب الجاهلي في أثناء حديثه عن المفضليات القصائد التي تتضمنها هذه المجموعة أصيلة، وأهل للثقة والاعتماد عليها. وقال أيضا: وقد لقيت المفضليات اهتمامًا كبيرًا من العلماء والأدباء والباحثين في شتى العصور، فكان لها شهرة عظيمة في الأوساط الأدبية والعلمية، وقام بدراستها كثير من الأدباء العرب والمستشرقين.

المفضليات هي مجموعة أشعار اختارها المفضل بن محمد بن يعلي الضبي كأحسن أشعار العرب ليدرسها لابن أبي جعفر المنصور، اليافع، المهدي بن المنصور، الخليفة التالي. اختار المفضل ١٢٦ أو ١٢٨ قصيدة – وبينها أيضاً مقطوعات – لسبعة وستين شاعراً. وسبعة وأربعون من هؤلاء الشعراء كانوا من شعراء الجاهلية، وبينهم المرقشان الأكبر والأصغر وهما أقدم الشعراء المعروفين، ونصرانيان اثنان هما جابر بن حنّى التغلبي) رقم ٤٢ (وعبد المسيح) رقم ٧٢، ٧٣، ٨٣). ومن شعرائه كذلك أربعة عشر شاعراً من المخضرمين الذين ولدوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، ثم ستة فقط من المسلمين

ويذكر صاحب الفهرست أن ابن الأعرابي روى مجموعة المفضل ١٢٨ قصيدة، نقص منها اثنتين أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري.

وسمى المفضل مجموعته في الأصل : كتاب الاختيارات ؛ ولكنها سميت بعد ذلك، نسبة إلى جامعها ، ب**المفضليات** وفي اوروبا طبعت كراسة من المفضليات في ليبزيگ عام 1885 ثم مع ترجمة إنجليزية في جزئيين عام 1921 تبعهم فهرست كجزء ثالث عام .1924